أساليب التنشئة الاجتماعية المعاصرة في ضوء تأثيرات العمالة المنزلية بالأسرة السعودية: دراسة تحليلية

Contemporary social upbringing techniques in light of the effects of domestic labor on the Saudi family: An analytical study

اعداد

د. خالد بن محمد آل عثيمين

جامعة الملك سعود – كلية الآداب – المملكة العربية السعودية

Doi: 10.33850/ajahs.2020.103208

الاستلام : ١٦ / ٥ /٢٠٢٠ القبول : ٢٨ / ٥ /٢٠٢٠

المستخلص :

تمثل الهدف المحوري لهذه الدراسة في الوقوف على أبعاد تأثيرات العمالة المنزلية على الأبناء وأساليب تنشئتهم الاجتماعية المعاصرة في الأسرة السعودية. وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي والذي تم توظيفه بقصد وصف وتحليل أساليب التنشئة الاجتماعية المعاصرة في ضوء تأثيرات العمالة المنزلية بالأسرة السعودية. ويعد من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن العمالة المنزلية تؤثر على اضطراب بيئة التنشئة الاجتماعية الأسرية لاسيما من خلال التسبب في إضعاف العلاقات بين أفراد الأسرة، وتقليل فرص الاحتكاك والتعامل اليومي والوجداني الذي يجب أن يسود أفراد الأسرة السعودية المستقرة. كما اتضح أن من أهم الانعكاسات السلبية للعمالة المنزلية على عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء، ما قد تؤدي إليه من افتقادهم معايير وقيم المجتمع السعودي الأصيلة. وتبين كذلك أن اضطلاع العمالة المنزلية بإشباع احتياجات الأبناء يؤدي إلى تراجع دور الوالدين فيما يخص عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء، كما ينتج عن تنامي دور الخادمة المنزلية أو المربية كأم بديلة العديد من التأثيرات السلبية على أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة في الأسرة السعودية. واتضح أيضاً أن العمالة المنزلية تؤثر على اختلال الهوية الثقافية والضوابط السلوكية والأخلاقية في الأسرة السعودية؛ ما ينعكس بالتبعية على فاعلية أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة في إطارها. وكشفت النتائج عن أن تأثيرات العمالة المنزلية السلبية تتضمن كذلك التأثير على اللغة المستخدمة في التنشئة الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: أساليب التنشئة الاجتماعية - العمالة المنزلية - الأسرة السعودية - دراسة تحليلية.

أولاً: المدخل المنهجي للدراسة.

(أ)- مشكلة الدراسة.

تعد المملكة العربية السعودية من أكثر الدول على مستوى الخليج العربي والدول العربية في استقدام العمالة المنزلية، خاصة في فترة الثمانينات الميلادية، وقد كان للتغير الاجتماعي والاقتصادي الذي طرأ على الأسرة السعودية آنذاك أبرز الأثر في وجود الحاجة للاستقدام؛ لذلك وكنتيجة حتمية وبسبب عدم تكيف الأسرة مع هذه التغيرات أتيحت الفرصة لهذه الفئة التي دخلت على المجتمع أن يكون لها أثراً ودوراً اجتماعياً داخل المجتمع السعودي.

ومما لاشك فيه أن للعمالة المنزلية دور مهم في عملية التنمية في المملكة، فمن خلال وجودها في المنزل تمكنت المرأة من إيجاد الوقت لاستكمال دراستها ورفع مستوى تعليمها وبالتالي الحصول على الفرصة الوظيفية للعمل، أو لتأسيس المشروع التجاري والخاص والتفرغ له والتخطيط للنجاح فيه، إلا أن هذا الأمر كان له بعض النتائج السلبية على الحياة الأسرية والاستقرار العائلي وكذلك على تربية الأبناء.

كما أن التغيرات التي طرأت على المجتمع وخاصة التحولات الاقتصادية وارتفاع مستويات الدخل أدت إلى زيادة الاعتماد على العمالة في التربية بسبب الانشغال في البحث عن رفع مستوى الدخل مما ساهم في ضعف إدراك الوالدين للمسئولية المناطة بهما وعدم الوفاء بالتزاماتهما الأسرية، وفي هذا الصدد بينت الخطيب (١٩٩٣) أن عدم وعي الوالدين بمسؤوليتهما تجاه الأبناء، جاء كرد فعل للطفرة الاقتصادية آنذاك، كما أشارت الكثير من الدراسات النفسية والأنثروبولوجية إلى أن كثيراً من ملامح شخصية الأفراد البالغين تعد امتدادا للخبرات التي تعرضوا لها في مرحلة التنشئة الاجتماعية المبكرة.

ونظرا لأهمية التنشئة الاجتماعية وأساليبها المتعددة التي تمارسها الأسرة، والتي تنعكس بتأثيراتها الإيجابية والسلبية على شخصيات الأبناء، فقد أولت الدراسات الحديثة والكتابات النظرية في مجال علم الاجتماع والنظريات الاجتماعية اهتماماً كبيراً بها، فقد ذكر المشاقبه (٢٠١٤) أن التنشئة الاجتماعية تتميز بأنها صانعة الشخصية وهي التي تحدد هويتها واتجاه نموها ناحية السواء أو اللاسواء، وتمتد هذه التأثيرات إلى أدوار الفرد الاجتماعية في مراحله العمرية كفرد في المجتمع الذي يعيش فيه.

وتُعرَف التنشئة الاجتماعية على أنها "منظومة من العمليات التي يعتمدها المجتمع في نقل ثقافته بما تنطوي عليه هذه الثقافة من مفاهيم وقيم وعادات وتقاليد

إلى أفراده" (وطفة والشهاب، ٢٠٠١)، وهذا هو ما يذهب إليه الباحث في قناعته بضرورة الوقوف عند هذه المشكلة ووضعها في حجمها كظاهرة ومشكلة اجتماعية.

وأوضحت دراسة أيوب (١٩٩٦) أن ارتفاع مستويات الحياة اجتماعياً أدى إلى التغير في الأنماط والأدوار البنائية الوظيفية للأسرة، فيما يتعلق بالتخلي عن أهم الوظائف داخل الأسرة وتسليمها لأطراف أخرى قد لا تكون مهيأة لمثل هذه المهام. ثم توسعت دائرة الاتكالية والاعتمادية من قبل الأسرة على العمالة المنزلية شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى حد منح الصلاحيات للعمالة المنزلية في تقلد مسؤولية تربية وتنشئة الأبناء، من دون أي اعتبار أو تفكير في ما ستجنيه الأسر على أبنائها وأطفالها.

وفي السياق ذاته أشارت دراسة العمري (٢٠٠٠) الى أن أدوار الأسرة السعودية قد تغيرت مع وجود العمالة المنزلية تجاه أساليب التنشئة الاجتماعية لأبنائها، وأضحت أن الأسر تعتمد اعتماداً كاملاً عليها، إلى أن تحولت الأدوار وانقلبت فأصبحت العمالة المنزلية الأجنبية داخل الأسرة هي مصدر الاهتمام والرعاية والتوجيه وامتد هذا الأثر إلى تشرب الأبناء لعادات وتقاليد ليست من المجتمع السعودي، مما ساهم في ظهور العديد من الصعوبات الاجتماعية والثقافية والتربوية في سبيل بناء السلوك والقيم والشخصية.

وبالإضافة لما سبق فقد أكدت دراسة علي (١٩٩٦) على أهمية أساليب التنشئة وتأثيراتها على الأبناء، وذلك من خلال وجود علاقة طردية ما بين أساليب التنشئة الاجتماعية وبناء قيمة المواطنة والولاء للوطن؛ فإذا كان الوطن مفهوم مختلط من اللغة والمعتقد والخلق والسلوك والانتماء، فكيف لمن يفتقدها أن يغرسها في أبنائنا وأطفالنا!.

كما يعتقد الباحث من واقع ملاحظاته وخبراته الشخصية والعملية وفي محيطه الاجتماعي وأثناء زياراته للكثير من الأقارب، أن هناك تأثيراً ملموساً للعمالة المنزلية على الأبناء، وذلك من خلال ظهور وبروز بعض الأخلاقيات والقيم والسلوكيات التي يمارسها الأبناء والتي تتسم بالغرابة، وأنها ليست من ثقافة المجتمع الذي نعيشه. والأكثر من ذلك أن يمتد تأثير العمالة المنزلية ليشمل التأثير على اللغة، وكذلك قد يصل إلى حد خلط المعتقدات الدينية لدى الأبناء بديانات العمالة المنزلية الأخرى أو تعليمهم بعض البدع الدخيلة على الإسلام بطريقة النمذجة الاجتماعية والسلوكية من خلال التقليد.

وبناء على ما سبق فإن مشكلة الدراسة الحالية يمكن تحديدها في التساؤل الرئيس التالي وهو: ما أبعاد تأثيرات العمالة المنزلية على الأبناء وأساليب تنشئتهم الاجتماعية المعاصرة في الأسرة السعودية؟

(ب) – أهمية الدراسة.

تبرز أهمية الدراسة الحالية في ضوء النقاط التالية:

١- يعد موضوع أساليب التنشئة الاجتماعية أحد الموضوعات البحثية المهمة في العلوم الاجتماعية؛ لما ينطوي عليه من آثار بالغة الأثر في بنية المجتمع السعودي؛ كون الأسرة وعلى نحو ما يبين (بشيش، ٢٠١٤م) تعد أحد أبرز الوحدات البنائية الاجتماعية التي تسهم في إكساب الفرد الميراث الثقافي الاجتماعي الذي يمكنه من أداء دوره المنتظر بطريقة متزنة، وذلك في إطار عملية التنشئة الاجتماعية.

٢- تستمد هذه الدراسة أهميتها من التنامي المضطرد في أعداد العمالة المنزلية الأجنبية في الأسر السعودية في الوقت الحالي (الأنصاري، ١٤٠٩هـ)؛ لاسيما أنه ومع تصاعد معدلات استقدام العمالة المنزلية وتغلغلهم في بنية الأسرة السعودية، كان أن ظهرت مجموعة من المشكلات التي نتجت عن وجود هذه العمالة (المرشدي، ١٤٢٧هـ)، وكان من أهمها التأثيرات السلبية على أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة تجاه الأبناء.

٣- تمثل العمالة المنزلية في الوقت الحالي أحد أدوات التغير الاجتماعي في المجتمع السعودي. وقد تعرضت الأسرة السعودية في العقود الأخيرة لعدة تغيرات اجتماعية نتيجة لتوظيف أعداد كبيرة من العمالة المنزلية؛ ما ترتب عليه خلل في أداء لأسرة لوظائفها؛ بجانب الخلل البنائي بوجود أشخاص من خارج الأسرة كالسائق أو الخادمة، وقيامهما أحياناً بوظيفة الأبوين، وما ينتج عن ذلك من تراجع دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية (القحطاني، ١٤٣٠هـ)؛ ومن ثم يجدر التنبه لتأثيرات العمالة المنزلية من أجل اتخاذ التدابير العملية الملائمة لمواجهتها والتعامل معها.

(ج) – أهداف الدراسة.

يتحدد الهدف الرئيس لهذه الدراسة في الوقوف على أبعاد تأثيرات العمالة المنزلية على الأبناء وأساليب تنشئتهم الاجتماعية المعاصرة في الأسرة السعودية. وينبثق عن هذا الهدف الأهداف الفرعية التالية:

١- الكشف عن تأثيرات العمالة المنزلية على القيم والمعايير المكتسبة في إطار عملية التنشئة الاجتماعية.

٢- الكشف عن تأثيرات العمالة المنزلية على اضطراب بيئة التنشئة الاجتماعية الأسرية.

٣- التعرف على تأثيرات العمالة المنزلية الناتجة عن اضطلاعها بإشباع احتياجات الأبناء.

٤- التعرف على التأثيرات الناتجة عن تنامي دور الخادمة المنزلية أو المربية كأم بديلة.

٥- الكشف عن تأثيرات العمالة المنزلية على اختلال الهوية الثقافية والضوابط السلوكية والأخلاقية في الأسرة.
٦- تحديد تأثيرات العمالة المنزلية على اللغة المستخدمة في التنشئة الاجتماعية.

(د) – منهج الدراسة.

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، والذي لا يقتصر على وصف الظاهرة الاجتماعية، وإنما يتعدى ذلك إلى تحليل هذه الظاهرة، وكشف العلاقات بين أبعادها المختلفة المتضمنة في إطارها؛ من أجل تفسيرها والانتهاء إلى استنتاجات محددة بخصوصها (السلطان، ١٤٣٠هـ).

وتأسيساً على ذلك، فقد تم توظيف المنهج المشار إليه في هذه الدراسة بقصد وصف وتحليل أساليب التنشئة الاجتماعية المعاصرة في ضوء تأثيرات العمالة المنزلية بالأسرة السعودية؛ وذلك على النحو الذي يحقق الأهداف المحددة.

ثانياً: مفاهيم الدراسة.

١- أساليب التنشئة الاجتماعية المعاصرة.

عرف إميل دور كايم التنشئة الاجتماعية بأنها: "عملية تمارسها الأجيال الراشدة على من لم ينضجوا لتفهم الحياة المجتمعية". وأشار دنكن ميتشيل إلى أن التنشئة الاجتماعية هي: "عملية تلقين الفرد قيم ومعايير ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه بحيث يصبح متدرباً على مجموعة الأدوار التي تحدد نمط سلوكه اليومي". في حين ذهب بيتر كاتزنستين إلى أن التنشئة الاجتماعية هي: "عملية يتم فيها نقل التراث للصغير خاصة في السنوات الأولى من عمره لتحقيق التطبيع الاجتماعي من خلال التوفيق بين دوافع ورغبات الفرد الخاصة ومطالب ومعايير المجتمع السائدة" (في: غانم، ٢٠١١م: ٨٠).

أما أساليب التنشئة الاجتماعية فهي: "تلك الطرق التي يتبعها الوالدان في معاملة أطفالهما أثناء عملية التنشئة الاجتماعية والتي تحدث التأثير الإيجابي والسلبي في سلوك الطفل من خلال استجابة الوالدين لسلوكه". ويشمل ذلك: أسلوب التسلط، وأسلوب التدليل، وأسلوب الحماية الزائدة، وأسلوب القسوة، وأسلوب الإهمال، وأسلوب التفرقة، وأسلوب التذبذب، وأسلوب السواء، وأسلوب الألم النفسي. وبصفة عامة فإنه يمكن تحديد أسلوبين أساسيين في التنشئة الاجتماعية للأبناء: أولهما الأسلوب الايجابي القائم على الحوار مع الأبناء واحترام مشاعرهم وأخذها بعين الاعتبار والإصغاء إليهم وترك الحرية لهم للتعبير بحرية عن أفكارهم. أما الثاني فهو الأسلوب السلبي المتمثل في تعامل الأسرة مع الطفل بطريقة الاستبداد والتسلط التي تعتمد على القسوة، بحيث يتم توجيه الطفل وفرض الأمور عليه (عكه، ٢٠١٣م: ٢٥٣).

التعريف الإجرائي لمفهوم أساليب التنشئة الاجتماعية المعاصرة:

يشير مفهوم أساليب التنشئة الاجتماعية المعاصرة في الدراسة الحالية إلى: "تلك الأساليب التي تتبعها الأسرة السعودية في تربية أبناءها، وتعليمهم، وتثقيفهم، ورعايتهم، في إطار ثقافة وقيم وعادات المجتمع السعودي، والتي قد تتأثر بطريقة ما بوجود العمالة المنزلية وانخراطهم المباشر بالأبناء، لاسيما مع ما تحمله هذه العمالة المنزلية من ثقافة مغايرة لثقافة المجتمع السعودي بما تشتمل عليه من عادات وقيم ولغة ومعتقدات دينية".

٢- العمالة المنزلية.

يوضح القحطاني (١٤٣٠هـ: ٢٥) أن العمالة المنزلية هي: "النساء والرجال الغريبون عن المجتمع السعودي الذين يتم استقدامهم لأجل العمل لدى الأسرة السعودية لمساعدتها في أعباء المنزل والخدمة المختلفة مقابل أجر متفق عليه، ولها حقوق وعليها واجبات".

ويذكر السبيعي (١٤٢٩هـ: ١١) أن مفهوم العمالة المنزلية يشير إلى: "العاملات والمربيات الذين يعملون في منزل الأسرة السعودية، ويتم استقدامهم رسمياً من الخارج وذلك عن طريق مكاتب الاستقدام للعمل ولمدة معينة وبأجر محدد ويقومون بمسؤوليات وتدبير شؤون المنزل ورعاية الأبناء ومساعدة المرأة العاملة".

التعريف الإجرائي لمفهوم العمالة المنزلية:

يشير مفهوم العمالة المنزلية في الدراسة الحالية إلى: "كل من يتم استقدامهم من دول أخرى وجنسيات متعددة للعمل لدى إحدى الأسر السعودية، ويشمل ذلك الخادمة المنزلية، والسائق، والمربية التي تقوم على رعاية الأطفال، أو غير ذلك من أعمال يكلفون بأدائها في نطاق الأسرة، تتيح لهم الاحتكاك المباشر بالأبناء".

٣- الأسرة السعودية.

يشير مفهوم الأسرة إلى: "اتحاد يتم نتيجة الاستعدادات والقدرات الكامنة في الطبيعة البشرية التي تنزع إلى الاجتماع، وهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري واستمرار الوجود الاجتماعي" (عكه، ٢٠١٣م: ٢٥٣).

ويبين بشيش (٢٠١٤م: ١٥٤) أن هناك شبه اتفاق حول مصطلح الأسرة أو العائلة، حيث يتضمن كل منهما الزوج والزوجة والأطفال الذين يعيشون في بيت واحد، وتعتمد على الترابط والتكافل وحسن المعاشرة، وتقوم بجملة من الوظائف الأساسية التي تكفل لها البقاء والاستمرارية، أهمها: وظيفة التنشئة الاجتماعية، حيث تعد المصدر الأول والأساسي في عملية تطبيع تدريجي للطفل من مجرد كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي ناضج وسوي. ومن ثم فإن الأسرة هي "تلك الوحدة الاجتماعية المكونة من رجل وامرأة أو عدد من النساء تربطهم رابطة زواجية

معترف بها اجتماعياً وقانونياً وشرعياً، ويعيشون مع أولاد من نسلهما أو من غير أولاد، وتقوم بمجموعة من الوظائف اللازمة لاستمرارها".

التعريف الإجرائي لمفهوم الأسرة السعودية:

يشير مفهوم الأسرة السعودية في الدراسة الحالية إلى: "تلك الأسرة الزواجية المكونة من أب وأم سعوديين وأبناءهم، بغض النظر عن عددهم أو جنسهم (ذكور/إناث) أو فئاتهم العمرية، والتي تعرف في علم الاجتماع المعاصر بالأسرة النووية صغيرة الحجم مقارنة بالأسرة الممتدة في السابق".

ثالثاً: النظريات المفسرة لعلاقة العمالة المنزلية بأساليب التنشئة الاجتماعية المعاصرة في الأسرة السعودية.

١- نظرية الضبط الاجتماعي.

تنطلق نظرية الضبط الاجتماعي من أنه إذا لم يتم تنشئة الأبناء بطريقة منضبطة؛ فإنهم سوف يتصرفون تبعاً لرغباتهم، ومن ثم فإن أهم طريقة يمكن من خلالها ممارسة الضبط الاجتماعي هي عملية التنشئة الاجتماعية. ووفقاً لهذه النظرية فإن التنشئة الاجتماعية السليمة تؤدي إلى الضبط الاجتماعي للأبناء في الأسرة، بمعنى أن يكونوا قادرين على ضبط تصرفاتهم ورغباتهم وفقاً لمعايير التنشئة الاجتماعية السليمة، وبالتالي سيكونون أكثر نجاحاً في حياتهم الاجتماعية، بينما الذين يعانون من ضعف الضبط الاجتماعي من المتوقع أن يتصرفون وفقاً لرغباتهم وبالتالي سيؤدي ذلك إلى ضعف أدوارهم الاجتماعية مما ينتج عنه الكثير من المشكلات في علاقاتهم الاجتماعية وحياتهم العملية على وجه العموم (القحطاني، ١٤٣٠هـ).

والملاحظ أن أي ضعف في الضبط في أي مؤسسة من مؤسسات المجتمع كالأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق وغيرها من شأنه أن يؤدي إلى ضعف الرابطة التي تربط الأفراد بالنظام الاجتماعي العام الموجود في المجتمع (الربدي، ١٤٢٤هـ).

ويمكن تفسير موضوع الدراسة في ضوء نظرية الضبط الاجتماعي بالنظر إلى أنه إذا لم يتم تنشئة الأطفال في نطاق الأسرة السعودية بطريقة تراعي قواعد الضبط الاجتماعي فإنهم سوف يتصرفون تبعاً لرغباتهم. ويبقى ضعف الضبط الاجتماعي أو غيابه من الأسرة تجاه الأبناء، أمراً ينعكس بصورة سلبية عليهم، وفي هذا الإطار فإن وجود العمالة المنزلية في الأسرة السعودية قد يوفر الفرصة لها في التسبب بخلل ما في عملية الضبط الاجتماعي للأبناء وأساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة تجاههم، لاسيما وأن العمالة المنزلية لا تلتزم في معظم الأحيان بقيم المجتمع السعودي وعاداته؛ وهو ما قد ينعكس على الأبناء في الأسرة والذين يضعف تدريجياً ارتباطهم بالوالدين كما قد يضعف أيضاً تقيدهم بعادات وقيم المجتمع السعودي؛ مع ما يمثله ذلك

من خطورة (الخضيري، ٢٠١٥م). والمؤكد أن مثل هذه التأثيرات السلبية سوف تؤثر مستقبلاً على تماسك البناء الاجتماعي العام للمجتمع إن لم يتم التنبه لها.

٢- نظرية الدور.

تنطلق نظرية الدور من أن المجتمع عبارة عن مجموعة مراكز اجتماعية مترابطة ومتضمنة أدواراً اجتماعية يمارسها الأفراد الذين يشغلون هذه المراكز. وتستند كذلك على مفهوم التوقعات المتصلة بهذه المراكز الاجتماعية، والتي تخلق أنواعاً مختلفة من التوقعات التي تحدد تصرفات الأفراد وتتصل ببعضها لتكون شبكة من العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع (العقيل، ١٤٢٥ه).

ويمكن تفسير موضوع الدراسة في ضوء نظرية الدور وافتراضاتها النظرية استناداً إلى أن التوقعات من العمالة المنزلي تتمثل في القيام بدورهم الأساسي المحدد بطريقة معينة من قبل الأسرة، والتوقعات التي تحدد أسلوب الفرد ليست أساليب نفسية أو ظاهرة اجتماعية بل هي توقعات ترتبط بالنسق الاجتماعي العام للمجتمع السعودي. وتهدف هذه التوقعات المتوحدة إلى المحافظة على استقرار السلوك وتماسك البناء الاجتماعي للمجتمع، وتكون هذه التوقعات واضحة ومرتبطة بالأدوار. ويؤدي عدم الاستقرار في نطاق الأسرة إلى غموض وتعارض هذه التوقعات؛ حيث يشعر الفرد بالتنافر بين توقعاته وتوقعات الآخرين، يؤدي ذلك إلى إضعاف الروابط الأسرية وإيجاد حالة من التفكك الاجتماعي. وفي هذا الإطار فإن استعانة الأسرة السعودية بالعمالة المنزلية في إطار مفاهيم نظرية الدور، وخاصة من ناحية غموض الدور من حيث عدم التفرقة بين دور العاملة المنزلية والمربية على سبيل المثال والذي يجب تحديده بدقة وأن يتم التفرقة بينهما على اعتبار أن التعامل مع الأطفال يحتاج إلى مربية متخصصة أكثر من مجرد العاملة (السبيعي، ١٤٢٩هـ). كذلك فإنه وفي إطار نظرية الدور يبقى هناك توقعات معينة يتوقع من أفراد الأسرة أنفسهم القيام بها في سياق عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء، مع العمل على إبعاد التأثيرات السلبية للعمالة المنزلية في هذا الإطار.

٣- النظرية البنائية الوظيفية.

تركز البنائية الوظيفية على تفسير وتحليل أبنية المجتمع وإبراز الطريقة التي تترابط عن طريقها الأجزاء بعضها مع بعض ولهذا يكون عمل التحليل الوظيفي هو تفسير هذه الأجزاء والعلاقات بينها فضلاً عن العلاقة بين الأجزاء والكل في الوقت الذي توجه فيه عناية خاصة إلى الوظائف التي تكون محصلة لهذه العلاقة (الخولي، ١٩٨٤م).

ويمكن تفسير موضوع الدراسة في ضوء البنائية الوظيفية على نحو ما يبين الخضيري (٢٠١٥م) باعتبار أن المدخل البنائي الوظيفي يزودنا بالمفاهيم التي تتعلق

بالتأثيرات المترتبة على استقدام العمالة المنزلية فيما يخص الأبناء؛ وذلك باعتبار أن العمالة المنزلية وكما يوضح أيضاً (أحمد وآخرون، ١٤٢٩ه) تؤثر على نسق الأسرة ومن ثم نسق المجتمع السعودي ككل. وينطلق هذا التأثير اعتماداً على أن التغيرات التي تحدثها العاملات الأجنبيات على الطفل أو الأسرة تنعكس على النسق الأكبر للمجتمع السعودي، في إطار فكرة العلاقات والتأثيرات المتبادلة بين العناصر المكونة للمجتمع. ويشمل هذا التأثير القول بأن وظيفة التنشئة الاجتماعية ونقل ثقافة المجتمع للأطفال في ظل وجود العمالة المنزلية تبقى مسألة مقترنة في أحيان كثيرة بنقل عادات وقيم مختلفة مرتبطة أصلاً بالثقافة الأم أو الأصلية للعمالة المنزلية والتي تتعامل بصفة يومية مع الأبناء ومن ثم تكون جزءاً من عملية التنشئة الاجتماعية لهم، ومثل هذا الأمر يعد خللاً في وظيفة الأسرة السعودية الأساسية التي يتحتم عليها الاضطلاع بها خشية التأثير على بنية المجتمع ذاته من خلال التأثير على أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة في تربية الأبناء.

رابعاً: الدراسات السابقة حول تأثيرات العمالة المنزلية على أساليب التنشئة الاجتماعية.

يعرض هذا المحور من محاور الدراسة لمجموعة من الدراسات التي تناولت تأثيرات العمالة المنزلية على أساليب التنشئة الاجتماعية. وفي هذا الصدد فقد هدفت دراسة عسيري (١٤٠٣هـ) إلى بلورة تصور واضح حول وضع العمالة غير السعودية في المملكة وحجمها والمشكلات المترتبة عليها أو التي تواجهها والآثار الناجمة عنها لوضعها تحت نظر المسئولين والمخططين لعله يمكن الاسترشاد بها في عملية التخطيط للاستقدام وتشغيل العمالة غير السعودية مستقبلاً. واتبعت الدراسة منهج المسح الاجتماعي بطريقة العينة. واعتمدت الدراسة على عينتين أساسيتين: العينة الأولي: من السعوديين العاملين في الوظائف الإدارية والكتابية والتدريس والطب والتجارة. العينة الثانية: من غير السعوديين العاملين في الوظائف الإدارية والكتابية والتدريس والطب والأعمال الحرفية واليدوية والمهنية. وانحصر المجال الزمني لهذه الدراسة في فترة جمع البيانات الميدانية حيث استغرق ذلك مدة خمسة أشهر. واعتمدت الدراسة على استمارة مقابلة واستبيان خاص بالسعوديين، واستبيان آخر بغير السعوديين بثلاث لغات. وأكدت نتائج الدراسة على ارتفاع معدل نمو العمالة غير السعودية سنة بعد أخرى. وبالنسبة للخصائص الديموجرافية كان من أهم سمات العمالة الأجنبية أنها عمالة ذكورية في معظمها. وأشارت النتائج إلى أن سهولة الحصول على خادمة وبسعر مناسب أدى لوجود أكثر من خادمة لدى الأسرة الواحدة رغم عدم الحاجة الحقيقية لذلك، كما أن هناك تداعيات أمنية مثل: زيادة جرائم القتل والسرقة والنصب والتزوير وغيرها.

وتحددت أهداف دراسة خليفة (١٤٠٥هـ) في استخلاص أهم الأسباب المنفردة والمشتركة في مجتمعات دول الخليج العربي، والتي تدفع الأسرة لاستخدام المربيات الأجنبيات. ورصد مجموعة الآثار السلبية المترتبة على استخدام الأسرة للمربيات الأجنبيات من حيث ارتباط الأبناء بالوالدين وبالمربية، ومن حيث انعكاسات ذلك على نموهم المعرفي، واللغوي، والنفسي، والاجتماعي. وكذا رصد وتحليل مجموعة الفروق ذات الدلالة بين أطفال الأسرة التي تستخدم المربيات الأجنبيات والأسر التي لا تعتمد عليهن، والتوصل إلى معرفة القيم والعادات والأنماط السلوكية السائدة في الأسر والمجتمعات التي تنتمي إليها المربيات الأجنبيات، واستقصاء عمق ومدى تأثيرها على خصائص الأسرة العربية الخليجية، واستنباط سبل التعامل مع هذه الظاهرة، بهدف الحد من نموها المتزايد، والتخفيف من وطأة الآثار السلبية المترتبة عليها حالياً والتي يمكن أن تترتب على استمراريتها مستقبلاً. أما المحور الذي تدور حوله هذه الدراسة فيتضمن مجموعة الدراسات الميدانية التي أجريت في مجال الظاهرة في كل من دولة البحرين، ودولة الكويت، وسلطنة عمان، والمملكة العربية السعودية، والعراق، خلال الفترة ١٤٠٣/١٤٠٤هـ. وقد أجريت هذه الدراسات بقصد التحري العلمي، وتحليل أثر المربيات الأجنبيات على خصائص الأسرة في كل قطر من الأقطار الخليجية المذكورة على حده. وقد انتهت الدراسة إلى التوضيح بأن من أهم الخيارات والبدائل المطروحة، أن نبدأ في التخلص من الاعتماد على الخادمات الأجنبيات، وأن يتلمس المواطن معنى قيامه بالعمل وأهميته بنفسه في كل المجالات، وإحلال العمالة العربية والمسلمة محل العمالة الأجنبية، كلما أمكن تحقيق ذلك، حتى يتسنى الاحتفاظ بالهوية والنقاء الثقافي.

أما دراسة الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة (١٤٠٦هـ) فقد أجريت في ثلاث مناطق بالمملكة وهي: المنطقة الوسطى والمنطقة الشرقية والمنطقة الغربية بالتطبيق على عينة بلغت نحو ١٠٠٠ سيدة من ربات البيوت تم اختيارهن بطريقة عشوائية وتضمنت مختلف المستويات التعليمية، بجانب عينة من تلاميذ الصف الخامس الابتدائي وعددهم ١٤٣٤ تلميذاً، كما تناولت الدراسة آراء أولياء أمور التلاميذ. وكشفت الدراسة عن عدة نتائج يعد أهمها ما أوضحته من أن الأسر التي تستخدم الخدم تشكل نسبة كبيرة تبلغ ٧٤,٨%، وأن هذه الظاهرة تظهر في المجتمعات الحضرية بصورة أوضح من المجتمعات الريفية والبدوية، وأن الاستعانة بالخدم تزداد مع زيادة حجم الأسرة، وأن الأسر تختار الخدم عن طريق مكاتب الاستقدام في المقام الأول. كما أبرزت رباب البيوت صعوبة التخلي عن الخدم لما لهم من فوائد إيجابية، وخاصة في مساعدة ربات البيوت، كما أن الخدم مظهر اجتماعي مهم بين الأسر في المجتمع. وفيما يتعلق بآراء أولياء الأمور، فقد أشارت النتائج إلى

أن ٤٠,١% من العينة ترى أن الاستفادة من الخدم تتمثل في المظهر اللائق اجتماعياً، وتعلم الأسرة لغة جديدة بنسبة ٢١,٣%، والاستفادة منهم في مساعدة الأولاد في فهم الدروس بنسبة ٦٠,٤%. وقد دلت النتائج أن الأطفال يستخدمون بعض الكلمات والعبارات الأجنبية، تليها ظاهرة عدم وضوح مخارج الألفاظ لدى الأطفال، بالإضافة إلى رغبة الأطفال في الاحتفال ببعض المناسبات كأعياد الميلاد، وعدم حرصهم على أداء الصلاة في أوقاتها وعزوفهم عن الملابس الوطنية المألوفة. وأشار حوالي ٥٨,٩% من أولياء الأمور إلى أن وجود الخدم بالمنزل ضرورة ملحة لا غنى عنها، وأن نسبة ٤٤,١% لا يرون ذلك. وفيما يتعلق بآراء تلاميذ المدارس فقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن المربيات لا تستطيع مساعدتهم في فهم دروسهم.

أما دراسة كسناوي (١٩٨٩م) حول الآثار التربوية والاجتماعية لظاهرة الخادمات في المجتمع السعودي، والتي تم تطبيقها على ١٤٤٧ أسرة لديها خادمات، فقد أشارت نتائجها إلى أن من بين العوامل التي أدت إلى تفاقم ظاهرة استقدام الخادمات التوسع في تعليم البنات وخروج المرأة للعمل، ووجود كبار السن في العائلة، ومرض ربة البيت المزمن، فضلاً عن قيام بعض الأسر باستقدام الخادمات بغرض التقليد والتباهي والتفاخر، وحاجة أطفال الأسر إلى رعاية في ظل غياب الأمهات واهتمامهن بالمشاركة في المناسبات العائلية. كما اتضح بأن ظاهرة الخادمات لها آثار تربوية واجتماعية سلبية على الأطفال والكبار هذا على الرغم من بعض الجوانب الايجابية لها.

في حين هدفت دراسة عطيوي (١٤٠٩هـ) إلى دراسة الفروق في التوافق لدى الطالبات اللاتي لديهن خادمات أجنبيات والطالبات اللاتي ليس لديهن خادمات أجنبيات وذلك في جميع جوانب التوافق الشخصي والاجتماعي بين طالبات لديهن خادمات وتعليم أمهاتهن منخفض. وقد وضعت بعض الفروض قامت عليها الدراسة للتحقق من هذه الأهداف. وقد طبقت الدراسة على عينة مكونة من ٣٠٠ طالبة من أفراد المجتمع الأصلي وجميعهن من طالبات الصف الخامس الابتدائي يبلغن من العمر ١١ سنة ويمثلن عينتين متجانستين في كل الظروف مثل المجموعة الأولى والتي عددها ١٠٠ تلميذة ليس لديهن خادمات أجنبيات، وتمثل المجموعة الثانية ١٠٠ تلميذة ليس لديهن خادمات أجنبيات. واستخدمت الدراسة الاستبانة واختبار التوافق الشخصي لجمع البيانات. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن هناك فرق بين التوافق الشخصي للطالبات اللاتي شاركت في تنشئتهن خادمات وبين اللاتي لم يشارك في تنشئتهن خادمات وكانت النتيجة في صالح الأخريات. كما تبين أن المستوى التعليمي للأم يلعب دوراً كبيراً في التوافق الشخصي حتى مع وجود الخادمة.

بينما سعت دراسة العبيدي و الخليفة (١٤١٥هـ) إلى التعرف على تأثير مجموعة من المتغيرات التي تعكس خصائص الأسرة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والديموغرافية في ظاهرة استخدام الأسر للعمالة المنزلية النسائية؛ وعليه فإن وحدة التحليل في هذه الدراسة تمثلت في الأسرة السعودية المقيمة في مدينة الرياض، بغض النظر عن وجود خادمة أو أكثر في المنزل أم لا. ويرجع سبب اقتصار الدراسة على الأسر السعودية رغم وجود نسبة لا بأس بها في الأسر غير السعودية (٤٥%) إلى أن هذه الظاهرة خاصَة بالأسر السعودية دون غيرها؛ إذ منَ النادر وجود أسر غير سعودية لديها خادمات للقيام بالأعباء المنزلية للأسرة. وقد اعتمدت الدراسة على عينة طبقية متعددة المراحل قوامها ٥٠٥٨ أسرة منها ٥٥% أسر سعودية و٤٥% أسر غير سعودية. وقد بلغت نسبة الأسر السعودية التي يوجد لديهن خادمات نحو ٢٣%، في حين بلغت نسبة الأسر التي لا يوجد لديهن خادمات نحو ٧٧% تقريباً. وباستخدام مجموعة من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية والثقافية التي تعكس هذه الخصائص وتحليلها وفقاً لمستويين من التحليل الإحصائي أحادي ومتعدد التغاير تبين أهمية بعض هذه المتغيرات في ميل أو إحجام الأسرة عن استخدام العمالة النسائية المنزلية؛ حيث أوضحت الدراسة أن هذه الظاهرة تتأثر على وجه الخصوص بكل من نسبة العاملات في الأسرة، دخل رب الأسرة، مستوى تعليم رب الأسرة، مستوى تعليم ربة الأسرة، دخل ربة الأسرة، نوع المنزل ونوع الحي الذي تقيم فيه الأسرة، وحجم الأسرة. وكشفت النتائج كذلك عن الأهمية الخاصة لكل من متغيري عدد العاملات في الأسرة، وحجم الأسرة في دفعها لاستخدام العمالة المنزلية النسائية، وكذلك الأهمية الخاصة لكل من ملكية المنزل والتعليم المرتفع لربة الأسرة، في صد الأسرة عن استخدام العمالة النسائية المنزلية.

وركزت دراسة الخضيري (١٤٢٤هـ) على بحث المشكلات الاجتماعية الناتجة عن العمالة المنزلية ومدى تأثيرها سواء على الأطفال أو الزوجين أو على المجتمع بغرض الوصول إلى مقترحات محددة للتعامل العلمي مع هذه الظاهرة مستقبلاً للحد من سلبياتها. واعتمد البحث على الدراسة الوصفية التحليلية من خلال المسح الاجتماعي لعينة شملت ٢٣٨ مفردة من أولياء أمور طلبة جامعة الملك سعود بالرياض. وخلصت نتائج البحث إلى وجود العديد من المشكلات الاجتماعية الناتجة عن العمالة المنزلية كان أهمها: مشكلات خاصة بالأطفال وتضمنت: التسبب في تدليل الأطفال وممارسة سلوكيات غير مرغوب فيها في الملبس والمأكل وخلافه، بجانب الاعتماد على الخادمة معظم الوقت، هذا فضلاً عن الخطر اللغوي على لسان الأطفال وما يفرزه من أثر سلبي على عقيدة هؤلاء الصغار وفكرهم وثقافتهم. بينما شملت المشكلات الخاصة بالزوجين عدم قيام الزوجة ببعض وظائفها داخل الأسرة

اعتماداً على الخادمة، مما أدى لظهور مشاكل أسرية بين الزوجين. ومن المشكلات الخاصة بالمجتمع الانحرافات الأخلاقية وعدم الالتزام بقيم وعادات المجتمع في المظهر والسلوك، مما يزيد من المشاكل الاجتماعية.

في حين هدفت دراسة خضر(٢٠٠٦م) إلى الكشف عن آثار ظاهرة استخدام الأسرة للعمالة المنزلية الأجنبية علي التوافق (الاجتماعي، النفسي، الاقتصادي) علي أفرادها (الزوج، الزوجة، الأبناء، وللأسرة ككل). وقد تكونت عينة الدراسة من (٢٧٩) أسرة أي (٥٥٨ زوج وزوجة) من دولة عربية خليجية ينتشر بها هذه الظاهرة. ومن أبرز نتائج الدراسة: اختلاف نسبة أداء العمالة المنزلية الأجنبية للأعمال المختلفة داخل المنزل حيث ترتفع نسبة قيامهم بالأعمال المنزلية المختلفة عن قيامهم بالأعمال المتعلقة برعاية الأبناء. كما تبين وجود علاقة ارتباطية (بعضها سالب وبعضها موجب) بين بعض مستويات التوافق (الاجتماعي، النفسي، الاقتصادي) لدي أفراد الأسرة التي تستخدم العمالة المنزلية الأجنبية (الزوج، الزوجة، الأبناء، الأسرة ككل) وبين بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية للأسرة ، وذلك عند مستويات دلالة تختلف ما بين (٠,٠٥ ، ٠,٠١ ، ٠,٠٠١). في حين تبين عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مستويات التوافق (الاجتماعي، النفسي، الاقتصادي) لأفراد الأسرة التي تستخدم العمالة المنزلية الأجنبية (الزوج، الزوجة، الأبناء، الأسرة ككل) حسب الحالة العملية للزوجة (عاملات، غير عاملات)، رغم وجود فروق غير دالة إحصائية معظمها لصالح توافق أسرة الزوجة غير العاملة. وتبين كذلك وجود تباين ذو دلالة إحصائية بين بعض مستويات التوافق (الاجتماعي، النفسي، الاقتصادي) لأفراد الأسرة التي تستخدم العمالة المنزلية الأجنبية (الزوج، الزوجة، الأبناء، الأسرة ككل) ، في ضوء (مدة الزواج، وعدد الأبناء).

أما دراسة العليان (١٤٣٠هـ) حول أثر العمالة المنزلية على أنماط التنشئة الاجتماعية في الأسرة السعودية، بالتطبيق على عينة من الأسر بمدينة جدة بلغ عدد أفرادها ٣٠٠ رب أسرة، فقد أشارت نتائجها إلى أن من الأسباب التي دعت الأسرة السعودية للاستعانة بالعمالة المنزلية هو كثرة الأعباء المنزلية، والظهور بمظهر لائق أمام الآخرين، والمساعدة في رعاية الأطفال، وتعارض خروج الأبناء مع خروج الأب من عمله، وأن غالبية أسر العينة بنسبة (٧١%) أكدوا أن لديهم التفكير والرغبة في الاستغناء عنها مستقبلاً. وشملت النواحي التي تأثرت بها الأسرة نتيجة وجود العمالة المنزلية: لا مبالاة الأبناء بالقيم أو العادات أو التقاليد السائدة، وتأثر لغتهم بلغة العمالة المنزلية الأجنبية، وتقلص دور الوالدين داخل الأسرة، وظهور بعض الانحرافات السلوكية في بعض أفراد الأسرة.

وتحدد الهدف الرئيس لدراسة الخضيري (٢٠١٥م) في التعرف على واقع ظاهرة العاملات الأجنبيات وأثرهن على وظائف الزوجين في البيت السعودي.

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي واستخدام المسح الاجتماعي بالعينة، واستخدمت الدراسة أداة الاستبانة كأداة رئيسية لجمع البيانات. وبلغ حجم العينة (١٢٥) مفردة من السعوديات اللوائي يترددن على المراكز التجارية الكبرى (المولات) في مدينة الرياض، وتم اختيار خمسة من تلك المراكز (المولات) بواقع سوق من كل جهة (الشرق، الغرب، الشمال، الجنوب، الوسط). وقد توصلت الدراسة إلى أن أبرز العوامل المؤدية للاستعانة بالعاملة الأجنبية في البيت السعودي تتمثل في خروج الزوجة للعمل في العديد من المجالات، وكبر واتساع حجم المنزل، ومساعدة الزوجة في القيام بالأعباء المنزلية. أما فيما يتعلق بمعرفة أثر العاملة المنزلية على النمو اللغوي للأبناء فقد تبين أن هناك مجموعة من الآثار السلبية في هذا الإطار ومن ذلك: أن اللغة العربية للأبناء أصبحت ضعيفة نتيجة لتأثرهم بالعاملة، أو أن الأبناء يقلدون العاملة في لهجتها، فضلاً عن اضطرار الأبناء للتفاهم مع العاملة بلهجة مختلطة. وأوضحت العينة في معظمها خطورة أن يكتسب الأبناء عادات سيئة من العاملة لا تناسب المجتمع السعودي كالاختلاط والتبرج والسفور وغير ذلك. كما كشفت النتائج عن أن هناك العديد من الآثار السلوكية على الأبناء نتيجة اختلاطهم بالعاملة ويتمثل أهمها في اكتساب الأبناء عادات سيئة في تناول الطعام من العاملة، و تقليد الأبناء للعاملة في مشاهدة الأفلام والمسلسلات التي لا تتفق مع ثقافة المجتمع السعودي، واكتساب الأطفال سلوكيات كالكذب مثلاً أو السرقة أو غيرها نتيجة احتكاكهم بالعاملة.

تعقيب على الدراسات السابقة

يتبين من الدراسات السابقة أنه وعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت العمالة المنزلية في المجتمع السعودي؛ إلا أنه لا تزال هناك حاجة إلى مزيد من الدراسات التي تهتم بالتركيز على ما يتعلق بأساليب التنشئة الاجتماعية المعاصرة في ضوء تأثيرات العمالة المنزلية بالأسرة السعودية. وهو ما تتزايد أهميته بالنظر إلى حجم العمالة المنزلية المتزايد، والذي يجعل من الضروري إخضاع هذا الموضوع البحثي للدراسة والتحليل العلمي.

وفي الوقت ذاته فقد أفادت هذه الدراسة من الدراسات السابقة في بناء إطارها التصوري العام حول مشكلة البحث، وفيما يتعلق بصياغة أهدافها وإجراءاتها المنهجية على نحو دقيق.

خامساً: أبعاد تأثيرات العمالة المنزلية على الأبناء و أساليب تنشئتهم الاجتماعية المعاصرة في الأسرة السعودية.

لم تكن العمالة المنزلية ظاهرة تستقطب الانتباه في المجتمع السعودي قبل عقود، ولكن منذ الطفرة الاقتصادية التي شهدتها المملكة العربية السعودية بدأت هذه الظاهرة

تحظى بكثير من الاهتمام من قِبَلِ الجهات الرسمية، من خلال وضع القوانين الضابطة للتعامل مع هذه الظاهرة ، كما استحوذت هذه الظاهرة على اهتمام بعض الباحثين الاجتماعيين، بل وشغلت حيزًا كبيراً في الإعلام السعودي ، ولعل الاهتمام المتزايد بهذه الظاهرة ناتج عما يرتبط بها من مشكلات وآثار سلبية تنعكس على المجتمع بشكل عام وعلى الأسرة السعودية بوجه خاص (العبيدي و الخليفة، ١٤١٥ه).

وتبين الشواهد المستمدة من تحليل الأدبيات و الدراسات السابقة، أن العمالة المنزلية قد ساعدت الأسر السعودية في النهوض بالعديد من المهام كالاهتمام بالأبناء والمنزل وخصوصاً في ظل غياب الأم العاملة أو الأم التي لا تزال في مراحل تعليمية معينة، فضلاً عن القيام بالعناية بالمرضى والمعاقين والمسنين، وإعطاء الوقت الكافي للأسر للزيارات وزيادة الروابط الاجتماعية، ومنح ربة المنزل فرصة للاهتمام بنفسها ومظهرها مما يكون له دور كبير على العلاقة الزوجية، ونقل خبرات جديدة من ثقافات أخرى في إدارة المنزل وترتيبه والأمور الجمالية داخل المنزل وغيرها (الحساني، ١٤٣١هـ).

لكن وعلى الرغم من ذلك، فإن ظاهرة العمالة المنزلية على الجانب المقابل كأي ظاهرة اجتماعية، لها عديد من الانعكاسات السلبية على الأبناء وأساليب تنشئتهم الاجتماعية المعاصرة في الأسرة السعودية (الحساني، ١٤٣١هـ). وفيما يلي تفصيل ذلك في المحاور التالية:

١) - تأثيرات العمالة المنزلية على القيم والمعايير المكتسبة في إطار عملية التنشئة الاجتماعية.

من الانعكاسات السلبية للعمالة المنزلية على عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء، ما قد تؤدي إليه من افتقاد معايير وقيم المجتمع السعودي الأصيلة؛ وتفسير ذلك أن الأسرة الخليجية بعامة والسعودية بخاصة تواجه هذا التواجد الكبير من العمالة المنزلية والتي تنتمي إلى ثقافات مغايرة وبيئات مختلفة عن المجتمعات الخليجية؛ والنتيجة المتوقعة صراع قيمي بين القيم الوافدة والقيم المتجذرة أو وجود ثنائية ثقافية تمارسها الأقليات في مناطق سكانها مما يفقد المجتمع هويته وانسجامه وتجانسه نتيجة هذه الجيوب الفرعية للثقافات الوافدة (جمعية العمل الاجتماعي، ٢٠٠٦م).

وقد أكدت الدراسات السابقة في هذا الإطار على أن "الطفل الذي تنشغل عنه الأم وتسلمه للعاملة لتكون بديلة وخاصة إذا كانت لا تتقن لغة قومه ولا تدين بدين مجتمعه فإنه قد يفقد عادات وقيم ذلك المجتمع وقد يكون ولاؤه لوطنه ودينه مزعزعاً. وتقل قدرته على التكيف السليم من حوله وتضعف عنده روح الحماس والإخلاص للعمل على رقي مجتمعه والزود عن عقيدته ويهن ارتباطه بها"(الأنصاري، ١٤٠٩هـ: ١٤٤-١٤٥).

أيضاً فإن إيكال أمر تنشئة الأطفال إلى العاملات أو المربيات الأجنبيات قد يتسبب في أكثر من مشكلة على صحة الأطفال النفسية والتوجيه السلوكي واللغة والهوية وعملية التربية ككل؛ حيث إن غياب الوالدان بشكل متزايد من عالم الطفل يعد مشكلة كبيرة كونه يفقدهم المرجعية والعلاقات العاطفية والحماية اللازمة (حجازي، ٢٠١٢م).

٢) - تأثيرات العمالة المنزلية على اضطراب بيئة التنشئة الاجتماعية الأسرية.

تؤثر العمالة المنزلية على اضطراب بيئة التنشئة الاجتماعية الأسرية لاسيما من خلال التسبب في إضعاف العلاقات بين أفراد الأسرة؛ وذلك من منطلق أن العلاقة المباشرة التي تتم بين أفراد الأسرة من خلال أساليب الأخذ والعطاء اليومي تعد من العوامل المهمة لدعم الروابط العائلية؛ إلا أن وجود العمالة المنزلية ومرور تلك العلاقات عن طريقها ومساهمتها بشكل أو بآخر في أدوار الأسرة يؤدي إلى ضعف العلاقات الأسرية ويقلل من فرص الاحتكاك والتعامل اليومي والوجداني الذي يجب أن يسود أفراد الأسرة (جمعية العمل الاجتماعي، ٢٠٠٦م).

٣) - تأثيرات العمالة المنزلية الناتجة عن اضطلاعها بإشباع احتياجات الأبناء.

تتجلى التأثيرات السلبية للعمالة المنزلية وتحديداً الخادمات والمربيات الأجنبيات على عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء في هذا الجانب بالنظر إلى أن قيام الخادمة أو المربية الأجنبية بتلبية احتياجات الأبناء وإشباعاتهم الأساسية في سن مبكرة مع تراجع الأم عن دورها الطبيعي في تغذية وتنظيف الطفل يؤدي إلى زيادة تعلق الأبناء وجدانياً وعاطفياً بالخادمة أو المربية؛ ومن ثم استعدادهم للتأثر بما لديها من قيم ومعتقدات وأنماط سلوك مغايرة لتلك السائدة في مجتمعاتنا الخليجية. كذلك فإن اعتماد أفراد الأسرة السعودية الزائد على العمالة المنزلية في تلبية معظم احتياجاتهم المنزلية على العمالة المنزلية، حتى في تلك المهام البسيطة التي في مقدورهم القيام بها والتي يقومون بها أثناء غياب هذه العمالة؛ قد يؤدي إلى تفشي روح السلبية والاتكالية الشديدة على الغير وانعدام روح المبادرة واعتبار العاملة ووجودها أساسياً في الأسرة وبغيابها تتأثر الأدوار والعلاقات ويشعر الجميع باضطراب الأمور (جمعية العمل الاجتماعي، ٢٠٠٦م).

وتعزي خطورة ذلك على نحو ما يشير (حمدان، ١٤٢٩هـ) في كون الأسرة تمثل ذلك النظام الاجتماعي الأساسي والمهم؛ فهي القادرة على أن تلعب دوراً مؤثراً في تحقيق الانتماء الوطني وتفعيل مفهوم المواطنة لدى أفرادها جميعهم، ولكن إذا ما اضطلعت بوظيفتها بشكل صحيح.

ومن ثم فإن الأنسب كما يوضح (الكاظم، ١٩٩٣م) أن تكون عملية التنشئة الاجتماعية متكاملة بمعنى أن تعمل مختلف عناصر التنشئة الأسرية إضافة إلى

مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى على التكامل بين أدائها في عملية التنشئة بمعنى أن تؤدي مضموناً متكاملاً وليس متناقضاً أو متنافراً.

٤) - التأثيرات الناتجة عن تنامي دور الخادمة المنزلية أو المربية كأم بديلة.

فمن خلال قيام الخادمة المنزلية أو المربية منذ الولادة بتغذية الطفل ونظافته وتلبية مطالبه اليومية وإعداده للمدرسة والتنزه معه والنوم أحياناً معه كل ذلك بجانب التواجد المستمر للخادمة المنزلية أو المربية وعدم الشعور بالاستغناء عنها يؤدي إلى استقطاب المربية للأبناء من النواحي المادية والعاطفية؛ حيث إن قيامها بتلبية الحاجات الأساسية لهم يدفعهم إلى الاعتماد عليها والوثوق بها والشعور بعدم الأمان عند غيابها، وقد تساعد الأم على هذه الحالة عند ترك الأمور للخادمة أو والمربية، وانشغالها بالزيارات والعلاقات الأسرية مما يجعل الخادمة في مركز موازي أو يفوق الأم الأصلية (جمعية العمل الاجتماعي، ٢٠٠٦م). وتكون المحصلة النهائية كما يبين (الأنصاري، ١٤٠٩ه) أن يحصد المجتمع نتيجة ذلك أفراداً ذوي شخصيات منفصلة عن ثقافة المجتمع وآدابه وتقاليده. ومهما كانت براعة الخادمة المنزلية أو المربية في أداء تلك المهمة فهي لن تغني عن الزوجة والأم الأساسية؛ لأنها تؤدي مهمة رسمية ولا تملك غيرتها على بيتها وحبها وحنوها على أولادها وانتماءها لأسرتها وأبناءها.

٥) - تأثيرات العمالة المنزلية على اختلال الهوية الثقافية والضوابط السلوكية والأخلاقية في الأسرة.

يمكن ملاحظة هذا الجانب من ناحية أن ما يتعلمه الطفل في محيط الأسرة يحتل مكانة هامة؛ ولهذا يعتبر الوالدان أو من يحل محلهما أكثر أهمية من سواهما، ممن يتفاعل معهم الطفل، وسرعان ما يتعلم الطفل أنه من خلال تأثير شعور الوالدين، يستطيع إلى حد ما السيطرة على ما يحدث له (خليفة، ١٤٠٥هـ).

لكن نقل مثل هذه المهمة للعمالة المنزلية لاسيما الخادمة أو المربية تعد مسألة ذات مردود سلبي؛ لاسيما في ظل ما تدل عليه البيانات والمعلومات من أن معظم العمالة المنزلية من الخادمات والمربيات الأجنبيات من ذوي التعليم المتدني والأميين، ومن ثم فمن الطبيعي أن الأمية تؤدي إلى ممارسات وأنماط سلوكية وعادات سيئة وانتشار الخرافات بشكل أو بآخر (الجرداوي، ١٩٩٠م).

كذلك فقد تقوم العمالة المنزلية سواء بقصد أو بدون قصد بزرع بعض الثقافات والسلوكيات الغير مرغوب فيها داخل الأسرة مثل ما يحصل من اتخاذ اللباس المخالف للدين والأعراف، والاختلاط ، ونقل أسرار البيوت، والعلاقات المحرمة مع أفراد الأسرة، والتستر على أخطاء أبناء وبنات الأسرة، وفي هذه الظروف تظهر الانحرافات السلوكية التي تهدد الأسرة وأفرادها والمجتمع بسبب العاملات (الحساني، ١٤٣١هـ).

يضاف إلى ما تقدم، تراخى الخادمة المنزلية أو المربية الأجنبية مع الطفل للحصول على رضاه على حساب التزامه بالمعايير والضوابط الخلقية والسلوكية (حجازي، ٢٠١٢م). فعلى الرغم من أن الخادمة المنزلية أو المربية الأجنبية هي أكثر الناس معرفة بشؤون البيت ومحتوياته بحكم طبيعة عملها، ومن ثم فالأصل أن تكون أكثر حرصاً على سلامته، وصوناً لأسراره، لكن الواقع يقول غير ذلك، إذ برزت حالات من الإجرام تجعل الثقة المطلقة أمراً فيه نوع من السذاجة، بل أصبح الحذر هو الأساس، وأثبتت التجارب وقوع جرائم السحر والشعوذة والسرقات والاعتداء من بعض العاملات على أفراد الأسرة (العوفي، ١٤٣٣هـ).

٦) - تأثيرات العمالة المنزلية على اللغة المستخدمة في التنشئة الاجتماعية.

يظهر من بين التأثيرات السلبية للعمالة المنزلية ما يتعلق بالتأثير على اللغة القومية وإدخال مفردات أخرى غير عربية على عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء. ويرجع ذلك إلى أن العمالة المنزلية من خادمات ومربيات وسائقين وغيرهم يتحدثوا أحياناً بلغاتهم الأصلية أو يلجأون إلى الحديث باللغة العربية بطريقة غير سليمة، وهنا تنشأ تراكيب غريبة يتلقنها الطفل في سن مبكرة، بل يضطر الوالدان إلى الحديث بها كأسلوب للتفاهم مع المربية، وينشأ عن ذلك إدخال عدد من الكلمات والتراكيب غير العربية في لغة الأطفال واستعمالها في الحديث وأحياناً في الكتابة. وإذا وضعنا في الاعتبار أن اللغة العربية هي أداة ثقافة وتفكير واتصال وتجسيد للهوية الوطنية ونقل للتراث، أدركنا خطورة هذا الوضع وأهمية التنبه لحماية اللغة وبالتالي التكوين الثقافي والشخصية القومية (الجرداوي، ١٩٩٠م).

سادساً: خلاصة نتائج الدراسة والتوصيات.

(أ)- خلاصة نتائج الدراسة.

١- يعد من أبرز الانعكاسات السلبية للعمالة المنزلية على عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء، ما قد تؤدي إليه من افتقاد معايير وقيم المجتمع السعودي الأصيلة.
٢- تؤثر العمالة المنزلية على اضطراب بيئة التنشئة الاجتماعية الأسرية لاسيما من خلال التسبب في إضعاف العلاقات بين أفراد الأسرة، وتقليل فرص الاحتكاك والتعامل اليومي والوجداني الذي يجب أن يسود أفراد الأسرة السعودية المستقرة.
٣- يؤدي اضطلاع العمالة المنزلية بإشباع احتياجات الأبناء إلى تراجع دور الوالدين فيما يخص عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء.
٤- ينتج عن تنامي دور الخادمة المنزلية أو المربية كأم بديلة العديد من التأثيرات السلبية على أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة في الأسرة السعودية.

٥- تؤثر العمالة المنزلية على اختلال الهوية الثقافية والضوابط السلوكية والأخلاقية في الأسرة السعودية؛ ما ينعكس بالتبعية على فاعلية أساليب التنشئة الاجتماعية المتبعة في إطارها.

٦- تتضمن تأثيرات العمالة المنزلية السلبية التأثير على اللغة المستخدمة في التنشئة الاجتماعية.

(ب)- التوصيات المقترحة.

بناء على ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج، فإنها توصي بما يلي:

١- إعداد دراسات مستقبلية إضافية تركز على تناول تأثيرات العمالة المنزلية بالأسرة السعودية على أساليب التنشئة الاجتماعية؛ وذلك بالنظر إلى أهمية هذه القضية البحثية، وخطورتها، وتعدد أبعادها المتضمنة.

٢- تكثيف البرامج التوعوية التي تهتم بتوضيح التأثيرات السلبية للعمالة المنزلية على أساليب التنشئة الاجتماعية للأبناء، والوسائل الملائمة للتعامل معها، وأن يشمل ذلك كافة الوسائل التوعوية المتاحة بما في ذلك توظيف شبكات التواصل الاجتماعي وما يعرف بالإعلام الجديد في هذا الإطار.

٣- توعية الأسر السعودية بضرورة الاهتمام باختيار العمالة المنزلية انطلاقاً من توافر شروط وخصائص محددة تضمن عدم انتقال التأثيرات السلبية لتواجد هذه العمالة المنزلية على الأبناء، أو على الأقل تقلل من الانعكاسات غير المرغوبة على عملية التنشئة الاجتماعية.

مراجع الدراسة

١- أحمد، حاتم عبد المنعم وآخرون (١٤٢٩هـ): آثار العمالة المنزلية على النشء والأسرة، الإدارة العامة لمنح البحوث، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض.

٢- الأمانة العامة لمجلس القوى العاملة (١٤٠٦هـ): أثر العمالة الأجنبية المنزلية على الأسرة السعودية، مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، العدد (١٠).

٣- الأنصاري، عنبرة حسين عبد الله (١٤٠٩هـ): أثر الخادمات الأجنبيات في تربية الطفل بمدينتي مكة المكرمة وجدة من وجهة نظر الأمهات، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى.

٤- أيوب، مارينا سليم جورج (١٩٩٦): أثر العمالة المنزلية الأجنبية على الأسرة الأردنية: دراسة ميدانية على عينة من الأسر الأردنية في مدينة عمان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان.

٥- بشيش، سعيدى فريدة (٢٠١٤م): أساليب التنشئة الاجتماعية في الأسرة الجزائرية ودورها في جنوح الأحداث: دراسة ميدانية على "مصلحة الملاحظة والتربية بالوسط المفتوح" "O.M.E.O.S" نموذجاً، المجلة الأردنية في العلوم الاجتماعية، الأردن، المجلد (٧)، العدد (١)، ص ص ١٥١-١٦٥.

٦- الجرداوي، عبد الرءوف (١٩٩٠م): ظاهرة الخدم والمربيات وأبعادها الاجتماعية في الدول الخليجية، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت.

٧- جمعية العمل الاجتماعي (٢٠٠٦م): مشكلات العمالة المنزلية في المجتمع الكويتي، دراسة منشورة (في): http://www.q8sws.com

٨- حجازي، مصطفى (٢٠١٢م): نحو سياسة اجتماعية خليجية للأسرة من الرعاية إلى التمكين، المكتب التنفيذي لمجلس وزراء الشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، البحرين، سلسلة الدراسات الاجتماعية، العدد (٧٠).

٩- الحساني، عواض حمد (١٤٣١هـ): معاملة الخدم في ضوء السنة النبوية وتطبيقاتها التربوية في الواقع المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

١٠- حمدان، سعيد بن سعيد ناصر (١٤٢٩هـ): دور الأسرة في تنمية قيم المواطنة لدى الشباب في ظل تحديات العولمة: رؤية اجتماعية تحليلية، (في): ندوة الأسرة السعودية والتغيرات المعاصرة، المنعقدة في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، الفترة من ٥-١٤٢٩/٥/٧هـ.

١١- خضر، منار عبد الرحمن محمد (٢٠٠٦م): استخدام الأسرة للعمالة المنزلية الأجنبية وعلاقته بتوافق أفرادها، (في): بحوث المؤتمر العربي العاشر للاقتصاد المنزلي (آفاق مستقبلية في الاقتصاد المنزلي) – كلية الاقتصاد المنزلي، جامعة المنوفية، الفترة من (٧ – ٨) أغسطس ٢٠٠٦، ص ص ٤٥٥ – ٤٨٠.
١٢- الخضيري، صالح بن إبراهيم (١٤٢٤هـ): المشكلات الاجتماعية للعمالة المنزلية: دراسة ميدانية، مركز بحوث كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض.
١٣- الخضيري، صالح إبراهيم (٢٠١٥م): العاملات الأجنبيات وأثرهن على وظائف الزوجين في البيت السعودي: دراسة ميدانية، مجلة الخدمة الاجتماعية، الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، مصر، العدد (٥٣)، ص ص ١٥-٦٨.
١٤- الخطيب، سلوى عبدالحميد أحمد (١٩٩٣): أساليب التنشئة الاجتماعية للطفل السعودي: دراسة مقارنة بين جيل الأمهات والجدات في مدينة الرياض، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، السعودية، العدد (٦)، ص ص ٣٧-٧٥.
١٥- خليفة، إبراهيم (١٤٠٥هـ): المربيات الأجنبيات في البيت العربي الخليجي: عرض وتحليل لبعض الدراسات الميدانية، مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.
١٦- الخولي، سناء (١٩٨٤م): الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
١٧- الربدي، محمد إبراهيم (١٤٢٤هـ): العوامل الاجتماعية المرتبطة بجرائم النساء في المجتمع السعودي: دراسة تطبيقية على الموقوفات السعوديات بسجن كل من الرياض – جدة – الدمام – الإحساء وجميع مؤسسات رعاية الفتيات في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
١٨- السبيعي، نوال منيف مذكر (١٤٢٩هـ): استعانة المرأة العاملة في قطاع التعليم بالعمالة المنزلية: الأسباب والمشكلات والحلول، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود.
١٩- السلطان، فهد بن سلطان (١٤٣٠هـ): اتجاهات الشباب الجامعي الذكور نحو العمل التطوعي: دراسة تطبيقية على جامعة الملك سعود، مجلة رسالة الخليج العربي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، العدد (١١٢).
٢٠- العبيدي، إبراهيم بن محمد و الخليفة، عبد الله بن حسين (١٤١٥هـ): الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية للأسر المستخدمة وغير

المستخدمة للعمالة النسائية المنزلية: دراسة ميدانية، (في): مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثاني عشر، جمادى الآخرة ١٤١٥هـ - نوفمبر ١٩٩٤م، ص ص ٣٦٩ – ٤٠٦.

٢١- عسيري، عبد الرحمن محمد (١٤٠٣هـ): العمالة غير السعودية وآثارها الاجتماعية في المملكة العربية السعودية: دراسة ميدانية على مدينة الرياض، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

٢٢- عطيوي، اعتدال عبد الله (١٤٠٩هـ): تأثير الخادمات الأجنبيات على التوافق الشخصي والاجتماعي لتلميذة المرحلة الابتدائية في مدينة جدة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى.

٢٣- العقيل، سليمان بن عبدالله (١٤٢٥هـ): ظاهرة الطلاق في المجتمع السعودي، http://www.prof.alakeel.net

٢٤- عكه، محمد إبراهيم احمد (٢٠١٣م): أساليب التنشئة الاجتماعية لدى الأسرة الفلسطينية بمدينة القدس، (في): مجلة البحوث والدراسات الإنسانية الفلسطينية – فلسطين، العدد (٢١)، ص ص ٢٤٥-٢٨٠.

٢٥- علي، مارينا سليم جورج (١٩٩٦): أساليب التنشئة الاجتماعية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالولاء للوطن لدى المراهقين من الجنسين، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، مصر.

٢٦- العليان، عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (١٤٣٠هـ): أثر العمالة المنزلية على أنماط التنشئة الاجتماعية في الأسرة السعودية: دراسة تطبيقية على عينة من الأسر بمدينة جدة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.

٢٧- العمري، عبدالرحمن بن عبدالله عبدالرحمن (٢٠١١): العمالة المنزلية الأجنبية وآثارها على الأسرة: دراسة ميدانية على عينة من أرباب الأسر السعودية بمدينة جدة، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، المجلد (٣)، العدد (٨٥)، ص ص ١٧٥-٢٣٢.

٢٨- العوفي، عبد الإله (١٤٣٣هـ): (جرائم الخادمات) لن يوقفها إلا النظام الرادع، (في): مجلة الدعوة، العدد (٢٣٢٧).

٢٩- غانم، عبدالله عبدالغني (٢٠١١م): التنشئة الاجتماعية ودور المؤسسات الاجتماعية في غرس وتنمية قيم الولاء والمواطنة الصالحة في الايتام، (في): المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب، السعودية، المجلد (٢٧)، العدد (٥٤).

٣٠- القحطاني، عبدالله محمد (١٤٣٠هـ): القيم والعادات الاجتماعية لدى العمالة المنزلية ومقارنتها بالقيم والعادات لدى الأسرة السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
٣١- الكاظم، أمينة علي (١٩٩٣م): تأثير العمالة الوافدة علي التنشئة الاجتماعية للطفل القطري، (في): مجلة شؤون اجتماعية، جمعية الاجتماعيين، العدد (٣٧)، السنة (١٠)، ربيع ١٩٩٣م – ١٤١٣هـ، ص ص ٥- ٢٨.
٣٢- كسناوي، محمود محمد (١٩٨٩م): الآثار التربوية والاجتماعية للخادمات: دراسة لظاهرة الخادمات في المجتمع السعودي، (في): مجلة جامعة أم القرى، السنة (١)، العدد (٢).
٣٣- المرشدي، تغريد بنت عبد الرحمن (١٤٢٧هـ): اتجاهات المسؤولين والمواطنين حول سن نظام خاص بعمالة الخدمة المنزلية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية إدارة الأعمال، جامعة الملك سعود، الرياض.
٣٤- المشاقبه، محمد أحمد خدام (٢٠١٤): التنشئة الاجتماعية كما يدركها الأحداث الجانحون في مدينة عرعر وعلاقتها بنمط الشخصية لديهم، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس، رابطة التربويين العرب، المجلد (٣)، العدد (٤٨)، ص ص ١٣١-١٤٦.
٣٥- وطفة وشهاب، علي أسعد وعلي جاسم (٢٠٠١): السمات الديمقراطية للتنشئة الاجتماعية في المجتمع الكويتي المعاصر: دراسة في الخلفيات الاجتماعية لاتجاهات طلاب المرحلة المتوسطة نحو أسلوب التعامل الديمقراطي للوالدين، مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية، سوريا، المجلد (١)، العدد (١٧)، ص ص ٢١١-٢٦٩.

Doi: 10.33850/ajahs.2020.103208